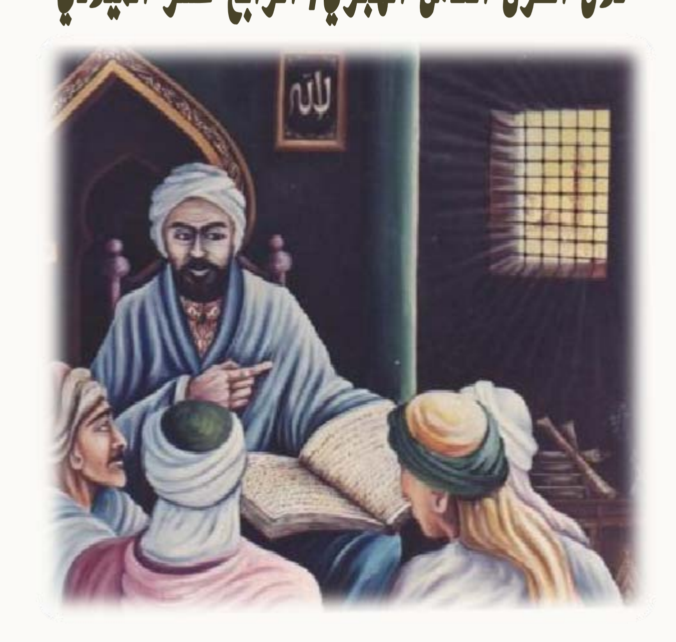
الانشغالات العلمية لعلماء تلمسان بفاس

خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي





نعيمة بوكريديمي
أستاذة التاريخ الإسلامي الوسيط
جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان
الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

الاستشهاد المرجعي بالمقال:
نعيمة بوكريديمي ، الانشغالات العلمية لعلماء تلمسان بفاس: خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي .- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع عشر ؛ ديسمبر ٢٠١١. ص ٤٢ – ٤٦.
(www.historicalkan.co.nr)

الملخص

يتناول هذا المقال موضوع الانشغالات العلمية لعلماء تلمسان بمدينة فاس خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي ، وفي هذا الصدد أولى طلبة العلم التلمسانيون بفاس خلال القرن الثامن الهجري جل اهتمامهم بدراسة مختلف العلوم المتداولة النقلية والعقلية في سبيل تكوين شخصيتهم العلمية ، ومن ثم مناقشة غيرهم من العلماء في العالم الإسلامي والتفوق عليهم في إطار المنظارات العلمية التي كانوا ينظمونها ، وبالتالي اكتسابهم المكانة والتقدير والاحترام اللائق داخل وخارج بلادهم.

ومن بين العلوم النقلية والعقلية التي كانت متداولة بين الطلبة المغاربة بصفة عامة والتمسانيون بصفة خاصة نذكر: علم الفقه ، وعلم القراءات والرسم ، وعلم الحديث ، والسيرة النبوية والمديح ، وعلم الفرائض ، وعلم التصوف ، وعلوم اللغة والآداب ، وعلم الرياضيات (التعاليم) ، وعلم الفلك والتنجيم ، وعلوم المنطق ، والعلوم الطبيعية ، بالإضافة إلى علوم أخرى ومنها علم التاريخ وأدب الرحلات والجغرافيا.

وإذا ما رجعنا إلى كتب التراجم ، نجد أن ليس كل الرحالة التلمسانين الذين رحلوا إلى مدينة فاس خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة كان هدفهم الدراسة والتحصيل لاستكمال تكوينهم العلمي الذي بدؤوه بمدينة تلمسان ، وإنما هناك نخبة منهم كتب لهم القدر بحكم ما تمتلكه من علوم ومعارف غزيرة أن تتجه إلى ميدان الكتابة والتأليف مثل: أبو عبد الله محمد بن بكر القريشي الشهير بالمقري الجد (ت٧٨٤هـ/١٣٤٧م).

كما تطرقنا من جهة أخرى إلى خصوصيات القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي ، ومن بينها نجد وجود علماء تلمسانيون تولوا مناصب مرموقة بمدينة فاس زادت في علو شأنهم نتيجة لحسن قيامهم بها ومن أهمها التدريس الذي اشتهر به الآبلي (٦٨١، ٧٥٧هـ/١٣٥٦، ١٢٨٢م) ، ومحمد بن عمران بن الفتوح التلمساني (ت٨١٨هـ/١٤١٥م). والكتابة السلطانية التي برز فيها علي بن مسعود الخزاعي التلمساني(ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م) ، وعبد الرحمان بن خلدون (٧٣٢،٨٠٨هـ/١٤٠٥، ١٣٣١م). والرسل (التمثيل الديبلوماسي) والتي حظي بها علي محمد بن منصور الغماري الضهاجي التلمساني الشهير بالأشهب (ت٧٩١هـ/١٣٨٩م). ومنصب القضاء ومن أشهر التلمسانيون الذين تولوا خطة قاضي الجماعة بمدينة فاس خلال القرن الثامن هجري/ الرابع عشر الميلادي نذكر المقري الجد.

مقدمة

لقد أولى طلبة العلم التلمسانيون بفاس خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي جل اهتمامهم بدراسة مختلف العلوم المتداولة النقلية والعقلية في سبيل تكوين شخصيتهم العلمية ، ومن ثم منافسة غيرهم من العلماء في العالم الإسلامي ، والتفوق عليهم في إطار المناظرات العلمية التي كانوا ينظمونها ، وبالتالي اكتسابهم المكانة والتقدير والاحترام اللائق داخل وخارج بلادهم.

دورية إلكترونية مُحكّمة ربع سنوية   ISSN: 2090 – 0449

أولاً: العلوم النقلية

(ا) الفقه:

حظيت علوم الفقه بالنصيب الأوفر من اهتمام المغاربة بمدينة فاس وبالتحديد كتاب "المدونة" للأمام عبد السلام بن سعيد الملقب بسحنون، والتي طبعت في ستة عشر جزء بالقاهرة سنة ١٣٢٣هـ/١٩٠٤م، وفيها قيل عليكم بالمدونة فأنها كلام رجل صالح ورواته والمدونة من العلم بمنزلة أم القرآن من القرآن.[١] أما أهم المشايخ المدرسون لها بمدينة فاس وعن تلاميذهم التلمسانين فنذكر:

- موسى محمد بن معطي العبدوسي: قال عنه ابن الخطيب القسنطيني: (أنه كان آية الله في المدونة)[٢] ومن تلاميذه التلمسانيين نذكر الإمام العالم التلمساني أبي عبد الله محمد الشريف(٧٧١، ٧٤٨هـ/١٣٦٩، ١٣٤٧م).
- محمد بن سليمان السطي(ت ٧٤٩هـ/١٣٤٨م): صاحب تأليف صغير على المدونة وممن أخذ عنه من علماء تلمسان نذكر المقري الجد، وابن مرزوق الخطيب، بالإضافة الى المختصر في الفروع والمعروف بمختصر ابن الحاجب،* وقد أخذه عبد الله محمد بن احمد الشريف التلمساني نجل العلامة الشريف التلمساني.
- أبو زيد عبد الرحمان بن عفان الجزولي (ت٧٤١هـ/١٣٤٠م): عرف بتضلعه في الفقه الملكي لذلك كان مجلسه يضم أكثر من ألف فقيه معظمهم يظهر (المدونة) أخذ عنه ابو الحسن الصغير وغيره من علماء العصر. ونعتقد أن المقري الجد استفاد من مجلسه هذا من رحلتيه، ومن تلاميذه التلمسانين نذكر كذلك محمد بن الحسن المعروف بابن الباروني (٧٣٤هـ/١٣٣٣م) بتلمسان.[٣]

علم القراءات والرسم:

انصب اهتمام التلمسانين على الشاطبية،* واسمها الكامل حرز الاماني ووجه التهاني، وهي نظم لكتاب التيسير في القراءات السبع لابي العمر الولداني، نظمها أبو القاسم الرعيين الشاطبي، بالإضافة إلى بعض الشروح كشرح حرز الاماني لابن اجروم (ت٧٢٣هـ/١٣٢٣م)، ومن أبرز التمسانيين الذين اهتموا بدراسة هذا النوع من الكتب، وقد استفادوا منها نذكر: عبد الله الشريف التلمساني(٧٧١، ٧١٠هـ/١٣٦٩، ١٣١٠م): قرأ القرآن بحرف نافع على يد الأستاذ النحوي أبي عبد الله بن زيد نجاس.[٤] ولعل ما ينبغي الإشارة له في هذا الجانب، أنه بالرغم من اهتمام علماء القرن الثامن بالمغرب بالتصنيف في القراءات السبع والاغتناء بها كعلم يشهد عليه إنشاء مدرسة السبعين من طرف السلطان ابي الحسن عام ٧٢١هـ/١٣٢١م التي اختصت بتدريسه، إلا أن المصادر لم تسعفنا بمعلومات وفية حول هذه المؤسسة ومَن كان يدرس بها.

علم الحديث:

يعتبر كتاب (الموطأ) للإمام ملك الأكثر تداولاً بين طلبة العلم المغاربة، من أشهر مدرسيه نذكر:

- الفقيه أحمد القباب:* قال عنه صاحب سلوة الانفاس: اشتغل بتدريس مختصر البرادعي بمدرسة المدينة البيضاء، وبقراءة كتاب (الموطأ) بالجامع الاعظم بمدينة فاس، فظهر علمه وحفظه ومعرفته، وكان يطالع على كتاب (الموطأ) خمسين ديوان،[٥] وكان من تلاميذه التلمسانين الذين تلقون عنه سيدي عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني (٧٩٢، ٧٤٨هـ/١٣٨٩، ١٣٤٧م).[٦]

كذلك عني التلمسانيون بصحيح البخاري ومسلم، وكان يقوم بتدريسه الفقيه الشيخ ابي عباس القباب والذي أخذه عنه العالم التلمساني السابق سيدي عبد الله محمد بن أحمد الشريف الحسني التلمساني.[٧]

- أبو محمد بن المهيمن الحضرمي: إمام الحديث وشيخ المقزي الجد.[٨]

السيرة النبوية والمديح:

لقيت السيرة النبوية والمديح عناية خاصة عند التلمسانيين، حيث تداول بينهم كتاب الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى لعياض بن موسى اليحصبي السبتي (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، ومن مدرسيه نذكر:

- أبو عبد الله محمد بن أبي عقيق المكناسي وأبي قاسم بن رضوان: من تلاميذته التلمسانين اللذين تلقوه عنه ودرسوه الإمام العلامة أبي يحي عبد الرحمن بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني،[٩] هذا إلى جانب البردة التي نظمها في مدح الرسول صلى الله عليه وسلم شرف الدين محمد بن سعيد الضهاجي المعروف بالبوصيري، وعنوانها الكامل (الكواكب الدرية في مدح خير البرية) زيادة على اشتهاره بقصيدة الهمزية والتي اكتسحت المحافل والمناسبات الدينية، والتي لايزال لها في جهات المغرب الكبير تداولاً وشهرة.[١٠]

علم الفرائض:

شاع اهتمام التلمسانيون بكتاب (الفرائض) لمؤلفه أحمد بن خلف الخوفي، وبالتلمسانية أسمها الكامل (الأرجوزة في الفرائض) نظمها أبو اسحاق بن ابي بكر التلمساني الرشيقي،[١١] ومن بين المدرسون لها الإمام عمر بن محمد الرجراجي أبو علي الفاسي، ومن بين الدارسون عليه في هذا المجل نذكر ابن الخطيب القسنطيني الذي قال عنه: "كان من أولياء الله، شهرته بالإصلاح أكثر من شهرته بالعلم لازمته وقرأت عليه الحوفية في الفرائض".[١٢]

علم التصوف:

اهتم التلمسانيون كباقي طلبة العالم الإسلامي في هذه المرحلة التاريخية بعلم التصوف، فانكبوا على دراسة حكم ابن عطا الله، ومن أشهر الأساتذة اللذين كانوا يدرسون هذا العلم بفاس نذكر: موسى العبدو سي، وأحمد القباب: ومن تلاميذتهم التلمسانين نذكر إبراهيم بن محمد المصمودي التلمساني،[١٣] وسيدي محمد بن عمر الهواري (ت٨٤٣هـ/١٤٣٩م).[١٤]

علوم اللغة وآدابها:

تعد الأكثر تداولاً بين المغاربة ومن أشهر كتب البلاغة انتشارًا بينهم نذكر(التلخيص)، ومن أشهر النحاة بمدينة فاس نذكر سيدي زيان العطافي،[١٥] والشيخ النحوي ابن حياتي أخذ عنه مرزوق الحفيد العجيسي.[١٦]

دورية إلكترونية، مُحكّمة، ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449



(٢) العلوم العقلية

اعتنى طلبة العلم الوافدون على فاس بالعلوم العقلية ، فانكبوا على قراءة ما توفر منها في هذه المدينة.

الرياضيات (التعاليم):

برز في هذا النوع أبو العباس ابن البناء: صاحب كتاب تلخيص أعمال الحساب ، كما عرف بكتاب أخر في الحساب بعنوان مقالات في الحساب. ومن بين تلاميذته التلمسانين الذين استفادوا منه نذكر أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الابلي التلمساني (٦٨١،٧٥٧هـ/١٣٥٠،١٢٨٢م).[١٧]

علم الفلك و التنجيم:

من أبرز الفلكيون الذين تصدروا هذا النوع من العلوم نذكر: أبو العباس ابن البناء الازدي المراكشي (٦٥٤ ، ٧٢١هـ/١٣٧٩،١٢٥٦م) صاحب كتاب أحكام النجوم ، والذي صار يُعرف بعد اتصاله بعلماء فاس ومراكش بإمام علوم النجامة وأحكامها.[١٨]

علوم المنطق:

اهتم الباحثون في هذه الفترة المعنية بدراسة الجمل للخونجي المعروف بعنوان مختصر نهاية الأمل في المنطق ، من أشهر الطلبة التلمسانين الذين عكفوا على دراسة هذا الكتاب نذكر: عبد الله بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني: (٧٩٢،٧٤٨هـ/١٣٨٩،١٣٤٧م).[١٩]

العلوم الطبيعية:

ويقصد بها ميدان الطب ، من أشهر الشيوخ الذين برزوا في هذا الجانب نذكر: ابن البناء الطبيب والرياضي الشهير ، ومن بين التلمسانين الذين اهتموا بهذا الجانب نذكر: أحمد بن قنفذ بن الخطيب (ت ٨١٠هـ/١٤٠٧م).[٢٠]

(٣) علوم أخرى

علم التاريخ:

من بين المؤلفات التي استأثر بها المغاربة خلال هذه الفترة التاريخية نذكر: كتاب علي الجزنائي بعنوان "جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس" ، ويتضمن أخبار عن مرحلة حكم إدريس الأول ، ومعلومات تفصيلية عن بناء مدينة فاس وتطورها العمراني والحضاري. ومن المؤلفات المعروفة لدى طلاب بلاد المغرب الإسلامي عامة والتلمسانين خاصة نذكر: روض القرطاس المنسوب لابن ابي زرع ، والبيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب للمراكشي ، والمسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن.[٢١] هذا زيادة على كتابات أندلسية نذكر منها: كتابات لسان الدين ابن الخطيب وما تضمه من معلومات في فهم التاريخ المغاربي والدبلوماسي ، وكتاب الطبقات والتراجم والبرامج والفهارس والأنساب والمؤلفات والدراسات التاريخية التي ساهمت في تعريف طلبة العلم بتاريخهم الثقافي والحضاري.

أدب الرحلات و الجغرافيا:

اعتنى المغاربة بتدوين رحلاتهم وإنتاجهم الجغرافي الذي خلفوه ورائهم ، وقد انكب المغاربة على قراءتها وأخذ المعرفة والعبرة منها ، ونذكر في هذا الإطار: رحلة محمد بن النجار التلمساني: العلمية إتجاه مدينة فاس خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي.[٢٢] كما اهتموا كغيرهم بدراسة الإنتاج الجغرافي كالجغرافيا الإقليمية والتي تُعرف بالمسالك والممالك ، وهي الجغرافيا الوصفية ونذكر منها: معجم البلدان لياقوت الحموي (٥٧٤ – ٦٢٦هـ) ، ومعجم ما استعجم للبكري(٤٠٤ – ٤٨٧هـ) ، والروض المعطار للحميري (ت ٧٥٠هـ/١٣٤٩م) والتي تعد من أشهر المعاجم الجغرافية النادرة في تاريخ العالم الإسلامي.[٢٣]

ثانيًا: الإنتاج العلمي

إذا ما رجعنا إلى كتب التراجم نقف على حقيقة أن ليس كل الرحالة التلمسانين الذين حلو بمدينة فاس خلال القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي كان هدفهم الدراسة والتحصيل لاستكمال تكوينهم العلمي الذي بدءوه بمدينة تلمسان ، وإنما هناك نخبة منهم كتب لها القدر بحكم ما تمتلكه من علوم ومنافع غزيرة أن تتجه الى ميدان الكتابة والتأليف. وعن هؤلاء الرحالة التلمسانيون الذين كانت لهم إسهامات في هذا المجال نذكر:

- أبو عبد الله محمد بن محمد بن أحمد بن ابي بكر بن يحي بن عبد الرحمان القريشي الشهير بالمقري (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م) صاحب كتاب "القواعد" ، وهو كتاب في الفقه اشتمل على ألف ومائتي قاعدة ، وصفه الونشريسي بأنه غزير العلم كثير الفوائد،[٢٤] بالإضافة إلى كتاب في التصوف كان قد ألفه بالأندلس.[٢٥]
- عبد الله محمد بن احمد التلمساني(ت٧٤٨هـ/١٣٤٧م): ترك آثار شعرية وفقهية ولغوية لم يصلنا إلا بعضها مثل: كتاب في أصول الفقه سماه "مفتاح الوصول في علم الأصول" ، وشرح جمل الخونجي ، وكتاب "القضاء والقدر".[٢٦] أما شعره فهو مبثوث بين طيات الصحف[٢٧] قال عنه ابن مريم: (هو فارس المعقول والمنقول).[٢٨] أما يحي ابن خلدون فقد قال عنه:"هو أحد رجال الكمال علمًا"،[٢٩] ومكانته العلمية هذه هي التي جعلت لسان الدين ابن الخطيب كلما ألف كتابًا بعثه وعرضه عليه.

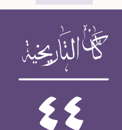
ثالثًا: المناصب والوظائف الإدارية

من خصوصيات القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي هو وجود علماء تلمسانيون تولوا مناصب مرموقة بمدينة فاس زادت في علو شئنهم نتيجة لحسن قيامهم بها ، ومن أهم هذه المناصب والوظائف الإدارية نذكر:

التدريس:

اشتهر في هذا الميدان جملة من العلماء التلمسانيون الذين تميزوا بنبوغهم العلمي فانثال عليهم طلبة العلم من كل حدب وصوب ، وبالتالي انتشر علمهم واشتهر ذكرهم ، ومن بين هؤلاء نذكر:

دورية إلكترونية مُحكّمة.ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449



- الإمام الشيخ الابلي (٧٥٧،٦٨١هـ/١٢٨٢،١٣٥٦م) تصدر للتدريس بفاس لما تميز به من تفوق علمي ساهم في تقريبه من سلاطين بني مرين، "ولما لقي السلطان أبي الحسن عند فتح تلمسان ابا موسى ابن الإمام ذكره له بأطيب الذكر، ووصفه بالتقدم في طبقات العلماء، فعكف على التدريس والتعليم ولازمه وحضر معه واقعة طريف والقيروان، ثم طلبه أبي عنان بعد مهلك أبيه من صاحب تونس، فاسلمه وارتحل إلى بجاية وأقام بها شهر حتى قرأ على طلبتها مختصر ابن الحاجب الأصلي ثم قدم على أبي عنان بتلمسان، فنظمه في طبقة أشياخه من العلماء، وكان يقرأ عليه إلى أن توفى بفاس (٧٥٧هـ/١٣٥٦م)".[٣١]

- محمد بن عمران ابن الفتوح التلمساني (ت٨١٨هـ÷١٤١٥م): ولد وتعلم ونشأ بتلمسان ومنها رحل الى فاس لغرض الدراسة والتحصيل أولاً، ثم جلس للتدريس بمدرسة فاس فأخذ عنه عدد من العلماء وطلبة العلم قبل رحليه إلى مكناس حيث توفى سنة ٨١٨هـ/١٤١٥م.[٣٢]

- عبد الرحمان بن محمد بن أحمد الشريف التلمساني الشهير بابي يحي بن الإمام عبد الله الشريف (٧٤٧هـ/١٣٤٨م): يعد صاحب الترجمة واحد من التلمسانين الذين حظو بدخول مدينة فاس، ومارسوا التدريس بها، وللإشارة فإنه عندما شرع في الاقراء ذهل تلاميذه إزاء غزارة علمه، وتبحره في الفقه، واستعداده في التوضيح والتدقيق.[٣٣] أما عن تلاميذه فقد أخذ عنه عدد لا يحصى أشهرهم الشيخ ابي زيد الجادري والعلامة ابن زاغوا، والشيخ ابي عبد الله القيسي، ولم يقتصر الأمر عنده في التدريس على تلاميذ تلمسان بحكم انتقاله إلى فاس، وإنما حضي طلبة فاس بشرف الاقراء على يده في حضرة سلطانها وفقهائها رحمه الله.[٣٤]

الكتابة السلطانية:

أداة استعمالها الإنسان لينقل ما لديه إلى سواه من أفكار ومعارف اخترعها، كانت أبرز مظاهر الحضارات الباكرة التي سارت في القديم، كما جعلت منها أداة رسمية دونت بها تشريعاتها العقائدية ونظمها السياسية والإدارية،[٣٥] وعليه تبقى الكتابة أعظم ما أنتجه عقل الإنسان، فاختراعها كان بداية تاريخه الحقيقي، كما كانت ثورة حضارية ارتقت بالإنسان إلى مستويات عالية. ومن أشهر من برز في هذا الميدان:

- على بن مسعود الخزاعي التلمساني (ت٧٨٩هـ/١٣٨٧م): نال هذا الأخير مكانة مرموقة عند المرينين، فقد اتخذه سلطان إبراهيم بن علي المريني صاحب علامة، ثم عين كاتب للأشغال قريبا لقلم الدولة في البلاط المرني، وذلك بسبب نبوغه في الأدب، فنال بذلك حضوة لم يصل إليها غيره من العلماء لدى الملوك، كانت وفاته بمدينة فاس في شهر ذي القعدة من سنة (٧٨٩هـ/١٣٨٧م).[٣٦]

- عبد الرحمن بن خلدون (٧٣٢،٨٠٨هـ/١٣٣١،١٤٠٥م): واحد ممن لم تكن استفادتهم مقصورة على الاحتكاك بأعضاء المجلس العلمي لأبي عنان، وأخذهم عن شيوخ فاس، وعلى رأسهم أبو عبد الله محمد بن الصفار المراكشي (ت٧٦١هـ/١٤٥٩م) أبو عبد الله المقري (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م)، وأبو محمد عبد المهيمن الحضرمي (ت٧٤٩هـ/١٣٤٨م) وغيرهم من العلماء، بل نال مكانة ممتازة لدى السلطان المريني ابي عنان، وارتقى في ظله إلى مناصب رفيعة، فلقد قربه وأكرمه شهود الصلوات معه، وولاه منصبي كتابة والتوقيع بين يديه.[٣٧] وللإشارة فقد لقي ابن خلدون نفس المكانة عند أبي سالم (ت٧٦٢هـ/١٣٦١م) الذي استعمله في كتابة سره والترسيل عنه والإنشاء لمخاطبته،[٣٨] ثم ولاه في آخر حكمه خطة المظالم فوفاها حقها.

الرسل (التمثيل الدبلوماسي):

يعد منصب أو وظيفة الرسل من الوظائف السياسية التي عرفتها بلاد المغرب إلى جانب وظيفة التدريس خلال هذه الفترة المعنية بالدراسة، ومن بين من حظي بهذا المنصب من التلمسانين بمدينة فاس نذكر: علي بن محمد بن منصور الغماري الضهاجي التلمساني الشهير بالأشهب (ت٧٩١هـ/ ١٣٨٩م): قال تلميذه الامام ابن مرزوق الحفيد (شيخنا الإمام العلامة من توفي بفاس، وقد توجه رسولاً إليها من تلمسان في أواخر سنة ٧٨١هـ/١٣٨٩م.[٣٩] وذكر المنتوري في شرحه فقال في فهرسته: "ومنهم شيخنا الأستاذ الحاج الرحال الراوية نور الدين الحسن علي بن محمد بن منصور بن علي بن الاشهب، توفي بفاس يوم الجمعة الخامس من رمضان سنة ٧٩١هـ".[٤٠] ومنه يتضح أن علماء تلمسان كما ساهموا كرسل في تمتين العلاقات والروابط السياسية بين دول المغرب الإسلامي وبالأخص بين حواضره كتلمسان وفاس، كانت لهم مساهمة في تقويتها بين العدوتين عدوة المغرب وعدوة الاندلس، وهذا ما جسده السفير المقري الجد.

القضاء:

عدت خطة القضاء من الرتب الحساسة في الدول الإسلامية، لأنها عماد الحكم، وهي وظيفة من الوظائف التي تهدف إلى الفصل في النزاعات والخصومات بين الناس طبقًا للأحكام الشرعية المعتمدة على الكتاب والسنة. ويظهر من وراء تصفحنا لكتب التاريخ وكتب التراجم، أن منصب قاضي الجماعة كان موجود بالحواضر الإسلامية وعلى رأسها مدينة فاس، وعادةً ما كان يعين من طرف السلطان، وهذا نظرًا لأهمية وخطورة هذا المنصب.[٤١]

وعليه من المفيد التذكير بأن مهامًا عدة كانت تدخل ضمن اختصاص قاضي الجماعة، كتعيين الأمناء، وتسمى هذه الخطة بالعدالة، وكانت مكملة لوظيفة القضاء حيث يقوم الشهود بإذن من القاضي بالشهادة بين الناس في المنازعات واكتتاب الأملاك والديون التي تقيد في سجلات خاصة.[٤٢]

ومن أشهر التلمسانيون الذين تولوا خطة قاضي الجماعة بمدينة فاس خلال القرن الثامن الهجري/الرابع عشر الميلادي نذكر: محمد بن محمد المقري الجد (ت٧٥٩هـ/١٣٥٨م)، وتجدر الإشارة بخصوصه أنه لما ولى ابي عنان المريني (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) واستتب أمره بعد وفاة أبيه سنة (٧٥٢هـ/١٣٤٨م) ولاه قضاء الجماعة بفاس، وفي هذا الإطار ذكر ابن القاضي قائلاً: "فلما ولي أبي عنان اجتذبه وخلطه بنفسه فولاه القضاء، قضاء الجماعة بمدينة فاس، باستقلال بذلك أعظم استقلال".[٤٣] ونفس القول ذهب إليه صاحب البستان قائلاً: "نشأ وقرأ بتلمسان إلى أن خرج منها صحبة الملك المتوكل أبي عنان أمير المؤمنين ابن أبي فارس سنة (٧٤٩هـ/١٣٤٨م) إلى مدينة فاس

دورية إلكترونية مُحكّمة ربع سنوية ISSN: 2090 – 0449

المحروسة ، فولي القضاء فنهض بأعبائه علمًا وعملاً وحمدت سيرته ولم تأخذه في الله لومة لائم إلى أن توفي فيها إثر قدومه من بلاد الأندلس في غرض الرسالة لأبي عنان سنة ٧٥٩هـ ثم نقل إلى مسقط رأسه بلده تلمسان".(٤٤)

وللإشارة فيعود سر نجاحه في هذه الوظيفة إلى أنه أنفذ الحكم والآن الكلمة ، وأثر التسديد وحمل الكل وخفض الجناح ، فحسنت عنه القالة وأحبته الخاصة والعامة ، وكل ذلك مرتبط بأتساع ثقافته وعلمه سواء في الجانب النظري أو التطبيقي. فقد ذكر ابن الخطيب بخصوصه قائلاً: "حضرت بعض مجالسه في الحكم ، فرأيت من صبره على اللدد (أي الخصومة الشديدة) وتأتيه الحجج ورفقه بالخصوم ما قصيت منه العجب".(٤٥)

خاتمة

نستنتج الآن ؛ إن انشغالات علماء تلمسان بمدينة فاس كانت متنوعة ومختلفة ، حيث نجد منهم من انشغل بالتحصيل وبالتالي تطوير معارفه العلمية ، ومنهم مَن عكف على التأليف وتولى المناصب الرفيعة وبالتالي أفادوا ، ومنهم مَن عكف على الانشغالين وبالتالي أفادوا واستفادوا.

الهوامش:

(١) رشيد الزاوي: التبادل العلمي بين المشرق والمغرب الإسلامي ضمن مجلة الحضارة الإسلامية العدد (١)، ١٩٩٣ ، ص٣٢٤.

*هو ابو عمران موسى بن محمد المعطي العبوسي عالم ومفتي توفي عام (٧٧٦هـ/١٣٧٤م) ينظر ترجمته عند محمد بن مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، دار الفكر للنشر .دت ص ٢٣٤.

(٢) ابن قنفد: كتب الوفيات ، تحقيق عادل نويهض ، منشورات المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت ١٩٧١ ،ص٦٥.

*ابن الحاجب: هو عثمان بن عمران ابن يونس ولد سنة (٥٧٠هـ/١١٧٤م) بأسنا من صعيد مصر قرأ على الشاطبية وسمع منه الشاطبية والتيسير ، وقرأ على أبي الفضل الغزناوي وسمع البوصيري وابن سنى القاسم بن عساكر ، أخذ عنه محمد بن أبي العلا النصيبي وروى عنه المنذري والدمياطي (ت٦٤٤هـ/١٢٤٦م) من آثاره المختصر الأصلي والفرعي والكافية في النحو ، ينظر ترجمته عند فهرس ابن الغازي: تحقيق محمد زاهي ، دار المغرب للتأليف والنشر ، الدار البيضاء ١٩٧٩ ،ص١٤٤.

(٣) محمد الزمري الكتاني: فاس عاصمة الأدارسة ورسائل أخرى ، وضع فهارسه واعتنى به الشريف بن علي الكتاني ، ط ١، ٢٠٠٠ ، ص ٧٠.

*الشاطبية: قصيدة لامية في القراءات بحرز الأماني في ذكر التهاني عدتها ألف ومائة وسبعون بيتاو لقد أبدع فيها صاحبها كل إبداع وهي عمدة قراء هذا الزمن في نقلهم وهي مشتملة على رموز عجيبة واشارات خفيفة ، ينظر ابن خلكان: وفيات الاعيان ج٤ ،ص٧١.

(٤) ابن مريم: البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان ،تحقيق محمد بن أبي شنب ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ، د ت ، ص ١١٧.

(٥) محمد بن جعفر الكتاني: سلوة الانفاس ومحادثة الاكياس بمن اقبر من العلماء والصلحاء بفاس ، تحقيق عبد الله الكامل الكتاني وحمزة بن محمد الطيب الكتاني ومحمد حمزة بن علي الكتاني ، دار الثقافة ، مؤسسة النشر والتوزيع ، الدار البيضاء ،٢٠٠٤ ، ج٣ ، ص٣٠٤.

(٦) ابن مريم ، المصدر السابق ، ص١١٨.

(٧) نفسه ،ص١٢٨.

(٨) نفسه ،ص١٥٦.

(٩) نفسه ،ص١٢٨.

(١٠) إبراهيم حركات: مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن ٩هـ/١٥م ، دار الرشاد الحديثة. الدار البيضاء ، ط١ ، ٢٠٠٠ ،ج١، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥.

(١١) محمود بوعياد: جوانب من حياة في المغرب الأوسط في القرن التاسع الهجري /١٥م ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ١٩٨٢ ،ص٧٢.

(١٢) التنبكتي: نيل الابتهاج بتطريز الديباج على هامش ديباج ابن فرحون تحقيق علي عمران ، مكتبة الثقافة الدينية ٢٠٠٤ ، ج١ص ص ٩،٣٣.

(١٣) ابن مريم: البستان ص ص٦٥، ٦٤.

(١٤) نفسه ،ص٢٢٨.

(١٥) نفسه ،ص١٠١.

(١٦) نفسه ،ص٢٠٥.

(١٧) نفسه ،ص٢١٤.

(١٨) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا ، تحقيق وتعليق محمد بن تاويه الطنجي ،نشر لجنة التأليف والنشر ، القاهرة ، ١٩٥١ ،ص٤٧.

(١٩) إبراهيم حركات: المرجع السابق ،ج١ ،ص ٤٠٤.

(٢٠) نفسه ٢٦٧.

(٢١) إبراهيم حركات : المرجع السابق ،ص ص ٢٦٨، ٢٦٧.

(٢٢) ابن مريم: المصدر السابق ،ص ١٤٤.

(٢٣) إبراهيم حركات: المرجع السابق ج١ ،ص ص٣١٧، ٣١٢.

(٢٤) نفسه ، ص٣١٣.

(٢٥) ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة ، تحقيق عبد الله عنان ،الشركة المصرية للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٣٣ ، ج٢ ، ص١٣٦.

(٢٦) المقري: نفخ الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ،المكتبة التجارية الكبرى ،القاهرة، ١٩٤٩م ،ج٥ ،ص٢٧٢.

(٢٧) محمد مرتاض: من أعلام تلمسان ، مقاربة تاريخية فنية ، دار الغرب للنشر والتوزيع وهران ، ٢٠٠٤ ، ص ١٠٠.

(٢٨) نفسه ، ص ١٠٠.

(٢٩) التنبكتي: المصدر السابق نيل الابتهاج:ج٢ ، ص ٨٧.

(٣٠) يحي ابن خلدون: بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد ، تحقيق عبد الحميد حاجيات الجزائر ، ١٩٨٠ ، ج١ ،ص ١٢٠.

(٣١) ابن مريم: المصدر السابق ،ص٢١٥.

(٣٢) عبد العزيز فيلالي: تلمسان في العهد الزياني ، دار موفم للنشر والتوزيع ، الجزائر ، ٢٠٠٠ ، ج١ ،ص٣٣٤.

(٣٣) نفسه ،ص١٢٨.

(٣٤) ابن مريم: المصدر السابق ، ص١٢٩.

(٣٥) القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، المؤسسة المصرية العامة ،القاهرة، ١٩٦٣ ، ج٣ ، ص ١٤٥.

(٣٦) الأخضر عبدلي: الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط في عهد بني زيان (٩٦٢، ٦٣٣هـ/١٥٥٤، ١٢٣٦م) رسالة دكتوراه دولة ، قسم التاريخ ، ١٠ ، جامعة تلمسان ، ٢٠٠٤، ٢٠٠٥ ، ص ١٩٦.

(٣٧) ابن خلدون: التعريف بابن خلدون ص٥٩.

(٣٨) نفسه ص ٧٠.

(٣٩) ابن مريم: المصدر السابق ص ١٤٤، ١٤٣.

(٤٠) نفسه: ص ١٤٤.

(٤١) محمد بن معمر: تاريخ القضاء الإسلامي ببلاد المغرب على عهد المرابطين والموحدين. رسالة ماجستير ، جامعة وهران، ١٩٩٣، ١٩٩٢ ، ص ١١٨، ١١٧، ١١٦.

(٤٢) ابن خلدون : المقدمة تحقيق درويش جويدي المكتبة المصرية ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٢٢٤.

(٤٣) ابن القاضي: درة الحجال في غرة أسماء الرجال القسم الأول تحقيق وتعليق مصطفى عبد القادر عطا ،منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ٢٠٠٢ ،ص٢٩٨.

(٤٤) ابن مريم : المصدر السابق ص١٥٥.

(٤٥) ابن الخطيب: المصدر السابق ، ج٢ ، ص٣١٨.